تعظيم الصحابة والتابعين وأتباعهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

إعداد الباحث

أبكر بن محمد بن عيسى

أستاذ الحديث وعلومه، في قسم الشريعة والقانون، معهد الإتقان العالي الجامعي

محاضر ومدير للمعهد

وأستاذ متعاون مع جامعة الملك فيصل بتشاد

مدينة أنجمينا، جمهورية تشاد

الإيميل: gourany80@gmail.com

الملخص :

تناولت في هذه الدراسة مكانة الحديث النبوي في قلوب الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة، وذكرت نماذج عديدة في كيفية أدائه وتحريهم الشديد في المحافظة على ألفاظ النبي ﷺ، وبكائهم عند ذكره، وعملهم واحتجاجهم به، وزجرهم لمن يقدم عليه آراء الرجال ويتهاون في تعظيمه، وقطعهم المسافات البعيدة لروايته وتلقيه والتأكد من صحته، وتناولت عدة نماذج من تعظيم التابعين لحديث رسول الله عليه، وكيفية تحديثهم والعناية الشديدة به، واعتبارهم الحديث عن رسول الله ﷺ دينا ووحيا من عند الله يحتاج في نقله إلى الصدق والعدالة والأمانة مع الضبط، وبكائهم وعدم قدرتهم على التحديث ذكر النبي ﷺ ، ولزوم الطهارة والهيئة العالية عند التحديث، وتناولت عددا من مظاهر تعظيم الحديث النبوي عند أئمة أتباع التابعين ومن بعدهم، وأن الإمام منهم يلدغه الوزغ في أثناء التحديث مرات فيأبى أن يقطع المجلس ويقول: صبرت إجلالا لحديث رسول الله ﷺ.

الكلمات المفتاحية: تعظيم، الصحابة، التابعين، أتباع، إجلال.

The Companions, Followers, and Their Followers' Reverence for the Hadith of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace

Prepared by Researcher
Abkar bin Muhammad bin Issa
Professor of Hadith and its Sciences, Department of Sharia and Law, Al-Itqan Higher University Institute
Lecturer and Director of the Institute
Affiliate Professor at King Faisal University in Chad
N'Djamena, Republic of Chad
Email: gourany80@gmail.com

Abstract:
In this study, I have discussed the status of the Prophetic Hadith in the hearts of the Companions, the Followers, their followers, and the Imams. I have mentioned numerous examples of how it was performed, their extreme care in preserving the words of the Prophet, may God bless him and grant him peace, their crying when he was mentioned, their actions and their use of it as evidence, their rebuke of those who prefer the opinions of men to it and are lax in venerating it, and their traveling long distances to narrate and receive it and to verify its authenticity She discussed several examples of the followers' glorification of the hadith of the Messenger of God, peace be upon him, and how they narrated it and took great care of it, and their consideration of speaking about the Messenger of God as a religion and revelation from God that requires truthfulness, justice, and honesty in conveying it with precision, and their crying and inability to narrate the mention of the Prophet, peace be upon him, and the necessity of purity and high appearance when narrating, and she discussed a number of aspects of glorification The Prophetic Hadiths, according to the Imams of the Followers and those who came after them, include the fact that one of the Imams would be bitten by a gecko while narrating hadiths, and would refuse to interrupt the session, saying, "I have been patient out of reverence for the hadiths of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace."

Keywords: Reverence, Companions, Followers, Followers, Reverence.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: فإن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم صنو الوحي القرآني، وهو الوحي الثاني، وهو المبين والمفسر والمفصل لما أجمل في القرآن الكريم، بل هو التفسير العملي للقرآن الكريم، والذي يقرأه ويبحث فيه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه حي يمشي أمامه في أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته الخِلقية والخُلقية، حتى تكون له مكلة يميز بها أقواله وأفعاله وتقريراته عن أفعال وأقوال وتقريرات غيره، وهذا الموقف يستدعي غاية التعظيم والتوقير للحديث، وهذا هو حال الصحابة والتابعين وأتباعهم مع حديث رسول الله عليه وسلم، وليس الأمر عندهم مختصرا على حفظه وفهمه والاستنباط منه فحسب، بل يتعدى إلى تعظيمه وحبه حبا عميقا كما نرى عنهم حيا ملموسا في هذه الدراسة.

أهمية البحث:

فإن أهمية هذه الدراسة تظهر من خلال أهمية موضوعه الذي يتناوله، وهو تعظيم الصحابة والتابعين وأتباعهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومحاولة تطبيق نتائجها على المجتمعات المسلمة المعاصرة اقتداء بهم؛ لأنهم هم الذين نقلوا لنا هدي نبينا صلى الله عليه وسلم وتعظيمه والعمل به، فالأجيال المعاصرة البعيدة عن عصر النبوة بأمس الحاجة إلى معرفة حياته صلى الله عليه وسلم وعظمتها ومحطاتها عبر حديثه صلى الله عليه وسلم.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى إبراز مكانة الحديث النبوي الشريف في قلوب الصحابة والتابعين وأتباعهم، وإرادة تطبيق ذلك على المجتمعات المسلمة المعاصرة، في وقت انشغل فيه كثير من أبناء المسلمين عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره في نفوسهم والعمل به في حياتهم اليومية، مع أن الحديث النبوي الصحيح تطبيق حياة، وليس مجرد قراءة سيرة وقصص وتاريخ وحكاية.

منهج البحث:

سلكت في كتابة هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي.

لاستقراء المعلومات وجمعها من مصادرها المختلفة، وتحليلها وتوضيحها واستنطاقها وإخراج الدروس والنكت منها وربط بعضها ببعض ومحاولة تطبيقها على الحياة المعاصرة.

هيكل البحث:

وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة وفيها ذكر أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

تعظيم الصحابة لحديث رسول الله ﷺ

من الطبيعي جدا أن نجد تعظيم الحديث عند الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأنهم يعظمون أمر الله ووحيه في الكتاب والسنة، وذلك نتيجةً للتربية النبوية الكريمة لتعظيم الشريعة، ولأن الحديث وحي ينزل على رسول الله مثل نزول القرآن، ولذلك رفعوا في الدارين، وأنزلوا في أكرم المنازل وأعزها وأرفعها.

ونقف في هذا المبحث على عجائب من عجائب الصحابة أهل الفضل والإيمان، لحبهم واحترامهم وتوقيرهم لحديث رسول اللهﷺ، وذلك لرسوخ إيمانهم برسولهم ﷺ وقوة انقيادهم لأوامره ونواهيه وزواجره، وما كانوا يقدمون على حديث رسول اللهﷺ شيئا لا رأيا ولا قولا لأحد كائنا من كان، بل قد أنكروا علنا على من خالف السنة كما في قصة أبي سعيد الخدري مع مروان بن الحكم حيث قدم خطبة العيد على الصلاة مخالفا في ذلك هدي رسول اللهﷺ والمعهود من حال الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين (١).

فلا عجب؛ لأنهم أصحاب محمد ﷺ الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة وجعلهم لنا أعلاما وقدوة، فحفظوا عنه ﷺ ما بلغهم عن الله عز وجل، وما سن وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدب، ووعوه وأتقنوه ففقهوا في الدين وعلموا أمر الله ونهيه ومراده بمعاينة رسول الله ﷺ ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقفهم منه واستنباطهم عنه، فشرفهم الله عز وجل بما منَّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة، فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز، وسماهم عدول الأمة وأئمة الهدى وحجج الدين ونقلة الكتاب والسنة، وندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم والجري على منهاجهم والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم(٢).

ومن اجتمع فيه هذه الخصال والخلال فلا تصغر السنة التي هي وحي من الله في عينه، بل بتعظيمهم لها بلغوا هذا المبلغ المرضي، ونهلوا من هذا المنهل السني.

وقد كانوا يعتبرون حديث رسول اللهﷺ وحيا من الله تبارك وتعالى يجب الإيمان به والعمل، وساروا على هذا المنوال دينا وعلما، وقولا وعملا، ويحسن بنا أن نسوق نماذج مشرقة تدل على سواها.

من تلك النماذج ما جاء عن عبد الوهاب المدني، قال: بلغني أن رجلا دخل على معاويةرضي الله عنه، فقال: مررت بالمدينة، فإذا أبو هريرةرضي الله عنه جالس في المسجد، حوله حلقة يحدثهم، فقال: ((حدثني خليلي أبو القاسم ﷺ ثم استعبر فبكى، ثم عاد فقال: حدثني خليلي ﷺ نبي الله أبو القاسم، ثم استعبر فبكى، ثم قام))(٣).

هذا والله من كمال تعظيم حديث رسول اللهﷺ عند أبي هريرة، وهو سر بركة الله في القوم ورفعتهم، فكم من محدث اليوم يقول: قال رسول اللهﷺ ولا يقع في خلده هذا المقام العظيم، فاستحضر هذه المنزلة حتى تصبح كأنك تسمعه من فيِّ رسول الله، فعظم السنة يعظم الله قدرك في الدنيا والآخرة.

وجاء عن أبي هريرة أنه قال لرجل: يا ابن أخي إذا حدثتك عن رسول اللهﷺ حديثا فلا تضرب له الأمثال.

وفي رواية يا ابن أخي إذا سمعت الحديث يحدث عن رسول الله ﷺفلا تضرب له الأمثال(٤).

وفي رواية قال: يا بني إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فلا تضرب له الأمثال(٥).

وجه دلالة هذه الروايات: الاعتبار بأن الحديث عن رسول اللهﷺ وحي منزل من عند الله تعالى، فلا ينبغي أن يعترض عليه وأن يضرب له الأمثال ويقارن بأقوال قدماء الفلاسفة وأصول المذاهب وغيرها، فكيف يصل الأمر بالمسلم إلى تلك المنازل الردية التي لا تعطي قيمة ولا وزنا لحديث رسول اللهﷺ لا في الاحتجاج ولا في العمل به، وهو في الحقيقة استخفاف برسول اللهﷺ وبشريعته، وإنكار أبي هريرة يدل على كمال تعظيمه لحديث رسول اللهﷺ، وتربيته لهذا الناشئ على التعظيم والتوقير للحديث النبوي الشريف.

وعن عبد الله بن مغفلﷺ: أنه رأى رجلا يخذف فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف أو كان يكره الخذف وقال: ((**إنه لا يصاد به صيد ولا ينكأ به عدو، ولكنها قد تكسر السن وتفقأ العين**)). ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف وأنت تخذف لا أكلمك كذا وكذا(٦).

وجه دلالة الحديث: قوله أحدثك عن رسول الله والحديث عن رسول اللهﷺ عظيم وخطير وجدير بالاهتمام والامتثال، والاستخفاف به مخرج من الملة ومجلب للنقمة، وفاعله عاص يستحق الهجران، وهذا غاية في تعظيم الحديث النبوي في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم، فكيف بالذي يعرف صحته وحكمه فيضرب عنه صفحا ويعمل بما يمليه عليه عقله وهواه.

وجاء عن عمران بن حصينﷺ أنه قال: قال النبي ﷺ ((**الحياء لا يأتي إلا بخير**)).

فقال بُشير بن كعب: مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقارا، وإن من الحياء سكينة. فقال له عمران: أحدثك عن رسول اللهﷺ وتحدثني عن صحيفتك(٧).

وجه دلالة الحديث: أنه لا كلام لأحد مع الرسولﷺ، بأي وجه كان، وهذا القول الذي أنكره عمران بن حصين ليس بمثابة الاعتراض على حديث رسول اللهﷺ، ولكن مع ذلك زجر قائله وأنكر عليه بشدة لئلا يعترض الناس على حديث رسول اللهﷺ ويستهينوا بأمره، وتصرفه معه هو التصرف الذي يليق بمقام النبي الكريمﷺ ومقام كلامه، وندرك من خلاله مدى تعظيم الحديث عند الصحب الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، وينبغي على العلماء أن يربوا الناس صغارهم وكبارهم على هذا المنهج.

وكان ابن عمرﷺ ما ذكر رسول اللهﷺ إلا بكى، وما مر على ربعهم إلا غمض عينيه(٨).

فتعظيمه لحديث رسول الله نابع من تعظيمه لرسول الله وشدة تأثره به وحبه إياه.

وجاء عن الزبير بن عربي أنه قال: سأل رجل ابن عمر ﷺ عن استلام الحجر فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله. قال: قلت: أرأيت إن زحمت، أرأيت إن غلبت؟ قال: ((اجعل أرأيت باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله))(٩).

وجه دلالة الحديث: أن ابن عمر ﷺ لم يلتفت إلى هذه الافتراضات التي يفترضها السائل، بل قدم فعل النبيﷺ على تلك الافتراضات المظنونة؛ لأن فعله الشرعي بوحي من عند الله،

وهذا من شدة تعظيمه لحديث رسول اللهﷺ، ولم يكن يقدم على حديث رسول اللهﷺ شيئا من أقوال البشر وظنونهم، بل كان الحديث بمثابة روحهم وقلوبهم النابضة، به يحيون وعليه يموتون، فما أعظم قدر حديث رسول اللهﷺ عندهم، وما أهون قدره على العقلانيين ومن على شاكلتهم، إذ قدموا عليه أقاويل الأرسطو وسائر الملاحدة البائدين في الاحتجاج والعمل.

وجاء عن سالم عن ابن عمررضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:((**إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها**)).

فقال ابن لعبدالله بن عمر لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلا(١٠) ، قال: فزبره ابن عمر وقال: أقول قال رسول الله ﷺ وتقول لا ندعهن(١١).

وجه دلالة الحديث: أن ابن عمر لم يقل لابنه كيف أقول شيئا وتقول غيره! بل قال: أقول قال رسول اللهﷺ، وتعترض عليه؟! فمن هنا جاء منه التوبيخ والتشديد والحزم في المسألة، لأن الأمر صار مخالفة للحديث واعتراضا عليه، وفي هذا المعنى قال الحافظ ابن حجر: وإنما أنكر عليه ابن عمر لتصريحه بمخالفة الحديث، وإلا فلو قال مثلا: إن الزمان قد تغير، وإن بعضهن ربما ظهر منه قصد المسجد وإضمار غيره، لكان يظهر أن لا ينكر عليه، وأخذ من إنكار عبد الله على ولده تأديب المعترض على السنن برأيه وعلى العالم بهواه، وتأديب الرجل ولده وإن كان كبيرا إذا تكلم بما لا ينبغي له، وجواز التأديب بالهجران(١٢).

وهذا من تمام تعظيم ابن عمر رضي الله عنه للحديث والسنن عن رسول اللهﷺ، فكيف بالاستدلال والعمل والاحتجاج!.

وجاء عن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الحجر وقال:((لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك))(١٣).

وجه دلالة الحديث: أن عمر رضي الله عنهكان ممن عاش الفترتين: فترة الجاهلية وفترة الإسلام، فنتيجة لذلك تكوَّن لديه تحرز شديد من تقبيل الأحجار وتعظيمها؛ لأن تقبيل الأحجار يشبه ما كان عليه أهل الجاهلية من عبادتها، إلا ما جاء فيه نص يأمرنا بتقبيلها، فهذا من قبيل الشرع الحنيف الذي يجب على كل مسلم امتثاله، وهذه نظرة عمر رضي الله عنه بعينها، إذ نص

على أنه لولا تعظيمه لرسول اللهﷺ وسنته وهديه وأنه رآه بعينه يفعل ذلك وهو أشد تحرزا منه فيما يمس العقيدة لما فعل هذا.

وجاء عن عبادة بن الصامترضي الله عنه أنه قال لمعاويةرضي الله عنه: أحدثك عن رسول اللهﷺ وتحدثني عن رأيك؟! لئن أخرجني الله لا أساكنك في أرض لك علي فيها إمرة(١٤).

وجه دلالة الحديث: إنكار عبادة بن الصامت رضي الله عنه على معاوية رضي الله عنه باعتراضه على الحديث، ولعل معاوية لم يبلغه الحديث حين ذكر رأيه، ولكن عبادة لم يعذره بذلك؛ بل لا عذر لأحد سمع حديثا صحيحا عن رسول اللهﷺ فيعترض عليه، مهما كانت منزلته؛ لأن معاوية كان أميرا على الشام عندئذ، ومع ذلك لم يمنع عبادة من الإنكار عليه وترك بلده تعظيما للحديث، ويجب على المسلم الحق الانقياد والتسليم لحديث رسول اللهﷺ وتعظيمه، أو تظن أن من يعظم الحديث هذا التعظيم يتردد في الاحتجاج به إذا صح، كلا فلا يحصل ذلك منه أبدا بل ولا يخطر بباله.

وجاء عن عبد الله بن بريدة: أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ رحل إلى فضالة بن عبيدرضي الله عنه وهو بمصر فقدم عليه وهو يمد لناقة له فقال: مرحبا، قال: أما إني لم آتك زائرا، ولكن سمعت أنا وأنت حديثا من رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم، قال: ما هو؟ قال: كذا وكذا(١٥).

وجه دلالة الحديث: اعلم رحمك الله أن هذا الصحابي الجليل يقطع هذه المسافات البعيدة والأسفار الشاقة لأجل حديث واحد فقط- وحديث رسول اللهﷺ كله عظيم، قليله وكثيره- ، ليعمل به، ولم يقل ما دام عندي عقل سليم يفكر ويتأمل ويشقق المسائل ويفترض الجزئيات والتحليلات فلا داعي لهذا التعب والبحث والتطلب للحديث، بل كان الحديث في قلوبهم أعظم من ذلك، وقد ضل العقلانيون حين زهدوا في حديث رسول اللهﷺ المحفوظ في صدور الرجال ودواوين الإسلام، فما أبعد ما بين الفريقين!.

وقد كان بعض الناس يناظر ابن عباسرضي الله عنه في المتعة فقال له: قال أبو بكر وعمر. فقال ابن عباس: ((يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر)) (١٦).

وهذا هو اللفظ الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله في كتبهم، ولا وجود له في كتب السنة، والثابت عنه هو ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تمتع النبي ﷺ، فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: ما يقول عرية؟ قال يقول: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: ((أراهم سيهلكون، أقول: قال النبيﷺ ويقول: نهى أبو بكر وعمر)) (١٧).

وفي رواية عند الدارمي قال ابن عباس رضي الله عنه: ((أما تخافون أن تعذبوا، أو يخسف بكم أن تقولوا: قال رسول الله، وقال فلان)) (١٨).

وجه دلالة الحديث: تعظيم ابن عباس لحديث رسول اللهﷺ وتقديمه على قول كل أحد حتى أبي بكر وعمر وهما أجل من مضى بعد النبي الكريم، وهكذا كان شأن السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم في تعظيم الحديث، فكيف بأقوال المعترضين على السنة البعيدين عن الاحتجاج بها، فهي أحق وأجدر من الزجر عنها والتحذير منها في كل عصر، وهذا من فقه ابن عباسرضي الله عنه، مع أننا مأمورون باتباع سنة أبي بكر وعمر، فكيف بغيرهما!.

وجاء عن ابن طاووس عن أبيه أنه قال: سمعت ابن عباس يقول: إنا كنا نحفظ الحديث، والحديث يحفظ عن رسول اللهﷺ، فأما إذا ركبتم الصعب والذلول فهيهات(١٩).

وجه دلالة الحديث: يدل كلامه على معنى أنا كنا نعظم الحديث ونحفظه ونحتج ونهتم به، فإذا ذهبتم إلى أقوال الناس وآراء الرجال فقدمتموها على الحديث، ورويتم الصحيح والضعيف وقل عنايتهم بالسنن والآثار، والتمييز بين الصحيح والزائف، أبعدتم النجعة في إصابة الحق، وهذا هو الذي حصل في القرون المتأخرة حين عزف الناس عن الحديث وخاضوا في الجدل والآراء الفلسفية، فخلوا من السنة وأصبحت ديارهم عنها بلاقع، فوقعوا في المهالك القواطع.

ولعل في هذه النماذج دلائل وبصائر لأهل الحق المعظمين لرسول الله ولسنته وطريقته، وهم أهل السنة والجماعة، وأتباع الحديث والأثر في كل عصر وفي كل مصر.

المبحث الثاني

تعظيم التابعين لحديث رسول الله ﷺ

واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته.

قال أبو إبراهيم التجيبي: واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله به. قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي: وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضى الله عنهم(٢٠).

ولهذا خلف بعدهم-أي: الصحابة- التابعون الذين اختارهم الله عز وجل لإقامة دينه وخصهم بحفظ فرائضه وحدوده وأمره ونهيه وأحكامه وسنن رسولهﷺ وآثاره، فحفظوا عن صحابة رسول الله ﷺ ما نشروه وبثوه من الأحكام والسنن والآثار وسائر ما وصفنا الصحابة به رضي الله تعالى عنهم فأتقنوه وعلموه وفقهوا فيه، فكانوا من الإسلام والدين ومراعاة أمر الله عز وجل ونهيه بحيث وضعهم الله عز وجل ونصبهم له، فصاروا برضوان الله عز وجل لهم وجميل ما أثنى عليهم بالمنزلة التي نزههم الله بها عن أن يلحقهم مغمز أو تدركهم وصمة لتيقظهم وتحرزهم وتثبتهم، ولأنهم البررة الأتقياء الذين ندبهم الله عز وجل لإثبات دينه وإقامة سنته وسبله(٢١).

وضرب التابعون للصحابة بالإحسان أروع الأمثلة في تعظيمهم لحديث رسول اللهﷺ، تعظيما يبهر العقول ويوقظ ذوي الألباب، وينبه الغافلين، ويظهر نبلهم في الدين كتابا وسنة، وقد كانوا يرون أن السنة صنو القرآن، وهو الوحي الثاني، المنزل على سيد ولد عدنان، فيبجلون حديث رسول الله تبجيلا يستحقه في الحفظ والفهم والاحتجاج والعمل، بل يعتقدون ويرون أن مخالفة الحديث عمدا وتقديم أقوال الناس عليه مهلكة من المهالك، وصاعقة من الصواعق المرسلة على أهل الزيغ والإلحاد المستهينين بحديث رسول اللهﷺ.

وها قد أسوق لك نماذج تبين تعظيم التابعين لحديث رسول الله بيانا واضحا لذي العقل السليم، والدين القويم، والرأي المسترشد بالنصوص الصحيحة والفهم المستقيم، ومن ذلك ما يأتي:

قال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له يوما في ذلك فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم على ما ترون، ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر، وكان سيد القراء، لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه.

ولقد كنت أرى جعفر بن محمد الصادق، وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ أصفر، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة.

ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هيبة منه لرسول الله ﷺ.

ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير، فإذا ذكر عنده النبي ﷺبكى حتى لا يبقى في عينيه دموع.

ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته.

لقد كنت آتى صفوان بن سليم، وكان من المتعبدين المجتهدين، فإذا ذكر النبي ﷺ بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه(٢٢).

هذا والله عجيب من أمر هؤلاء الأئمة في تعظيمهم للنبيﷺ ولحديثه، هكذا كان الصدر الأول في تعظيم حديث رسول اللهﷺ، عندما كان مشربهم صافيا ولم يدب إليهم داء تقديم العقل على النقل، بل كانوا مع الحديث شيء آخر غير الذي نعلم من علماء عصرنا وعباده وأتقيائه، فضلا عن الدهماء والعامة السوداء.

قال سعيد بن عبد العزيز: كان أبو إدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث- يعني: (حديث يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي)- جثا على ركبتيه(٢٣).

جثا تعظيما لهذا الحديث وإجلالا لما فيه من خطاب الله العظيم لعباده.

وجاء عن سعيد بن المسيب أنه رأى رجلا يصلي بعد العصر الركعتين يكثر فقال له يا أبا محمد: أيعذبني الله على الصلاة؟ قال: لا، ولكن يعذبك الله بخلاف السنة(٢٤).

وذلك أن النبيﷺ نهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، كما في الصحاح والسنن وغيرها، وإنما قال هذا سعيد تعظيما لهذه الأحاديث المنهية عن الصلاة بعد العصر، فمن عظم الحديث عظم أوامر رسول اللهﷺ ونواهيه.

وجاء عن ابن أبي الزناد أنه قال: ((كان سعيد بن المسيب وهو مريض يقول: اقعدوني، فإني أُعْظِمُ أن أحدث حديث رسول الله ﷺ وأنا مضطجع)) (٢٥).

وفي رواية عن ابن وهب قال: حدثني مالك أن رجلا جاء إلى سعيد بن المسيب وهو مريض فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس فحدثه، فقال له الرجل: وددت أنك لم تتعن، فقال: ((إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع)) (٢٦).

ومن نظر إلى هذا التعظيم الذي في قلب سعيد بن المسيب العالم الرباني سيد التابعين وتلميذ الصحابة تجاه الحديث النبوي، علم أن العقلانيين الذين يقدمون عقولهم على الحديث في الاحتجاج به عبثا يعمهون، وفي لهو من أمرهم يتيهون، وما أجل الحديث في قلبه رحمه الله، أو تظن أنه يتردد في الاحتجاج به أو يقسمه قسما يقبله وقسما يرده كلا!.

وهو الذي كان يقول: ((إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد)) (٢٧).

وجاء من تعظيم قتادة بن دعامة السدوسي لحديث رسول اللهﷺ وحبه له وحرصه عليه أنه قال: أتيت سعيد بن المسيب، وقد ألبس تبان شعر، وأقيم في الشمس، فقلت لقائدي(٢٨): أدنني منه. فأدناني، فجعلت أسأله خوفا من أن يفوتني، وهو يجيبني حسبة، والناس يتعجبون(٢٩).

وعن معمر أنه قال: ((كان قتادة يكره للرجل أن يحدث بهذه الأحاديث التي عن رسول الله إلا وهو على وضوء)) (٣٠).

وفي رواية عن معمر عن قتادة أنه قال: ((لقد كان يستحب ألا تقرأ الأحاديث التي عن النبي ﷺ إلا على وضوء. وفي حديث عبد الرزاق: إلا على طهارة)) (٣١).

وروي عن قتادة: أنه كان إذا سمع الحديث أحذه العويل والزويل(٣٢).

إن هذا الحرص والتعظيم والإجلال يدل على مكانة الحديث في قلبه وتعظيمه له رحمه الله، وما كان يحدث عن رسول اللهﷺ إلا على طهارة؛ لأنه وحي من الله يستحق كل تعظيم وإجلال، وكذا الاحتجاج والعمل عند السلف الصالح.

ومن تعظيم عامر بن شراحيل الشعبي لحديث رسول اللهﷺ ما جاء عن مالك بن مغول أنه قال: قال لي الشعبي: ما حدثوك هؤلاء عن رسول اللهﷺ فخذ به، وما قالوه برأيهم فألقه في الحش(٣٣).

وفي رواية عن الثوري عن ابن أبجر قال: قال لي الشعبي: ما حدثوك عن أصحاب محمد ﷺ فخذه، وما قالوا برأيهم فبل عليه(٣٤).

وقد استعمل الشعبي في هذا المقام عبارة غليظة لما رأى من يقدم على الوحي من السنة رأيه وعقله، وعلى فهم الصحابة مذاهب الكفار من الصابئة وغيرهم من الضلال، فأمر بأخذ السنة مطلقا بدون تقسيم، ورد جميع الآراء المخالفة للسنة، مهما كان منشؤها ومخترعها.

ومن تعظيم جابر بن زيد لحديث رسول اللهﷺ ما ورد عن صالح الدهان قال: ما سمعت جابر بن زيد يقول قط: قال رسول اللهﷺ إعظاما واتقاء أن يكذب عليه(٣٥).

ما أعظم مكانة الحديث في قلبه رحمه الله، فكيف بمن يقول: قال رسول الله وهو كاذب عليه، أو يقال له: قال رسول الله فيقول: قال فلان وعلان، أو قال عقلي، أو تظن أن من عظم الحديث في قلبه وتمكن منه مثل هذا التمكن، يتردد في الاحتجاج به كلا! ما أعظمهم من أئمة، وما أجلهم من سادة فحول.

ومن تعظيم أبي معمر-عبد الله بن سخبرة- لحديث رسول اللهﷺ قوله: إني لأسمع الحديث لحنا فألحن اتباعا لما سمعت(٣٦).

هذا من غاية تعظيمهم لحديث رسول اللهﷺ، واتباعه للحن ليس تقليدا للخطأ ولا مقصودا لذاته، بل احتراما لألفاظه واتباعا لها وتعظيما وإجلالا، ومن بلغ هذا المبلغ في التعظيم لا يخشى عليه الاحتجاج والعمل والتفريق بين حديث رسول اللهﷺ في العمل ببعضه ورد جله إذا صح.

ومن تعظيم ابن سيرين لحديث رسول اللهﷺ قوله: ((انظروا عمن تأخذون هذا الحديث، فإنما هو دينكم)) (٣٧).

وعند مسلم في مقدمة صحيحه بلفظ: ((إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة(٣٨). قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)) (٣٩).

وعند ابن أبي حاتم الرازي بلفظ: ((إن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذوه)) (٤٠).

وعن قتادة قال: حدث ابن سيرين رجلا بحديث عن النبي ﷺ فقال رجل: قال فلان كذا وكذا. فقال ابن سيرين: أحدثك عن النبي ﷺ وتقول: قال فلان وفلان: كذا وكذا، لا أكلمك أبدا(٤١).

فهذه الآثار المروية عن ابن سيرين تدل دلالة واضحة على تعظيمه للحديث مطلقا والعمل به والاحتجاج، بدون تقسيم ولا العمل بالبعض ورد البعض الآخر كما عند العقلانيين أفراخ المعتزلة وتلامذة الصائبة والفرق المنحرفة، بل هو دين يشمل العقائد والأحكام والمعاملات وسائر مناحي الحياة بلا تفريق ولا تعطيل، وهذا هو منهج السلف الصالح قاطبة في السنة النبوية.

ومن تعظيم إبراهيم بن سعد لحديث رسول اللهﷺ قوله:((لا يحدث عن رسول اللهﷺ إلا الثقات)) (٤٢).

لأنه دين الله ووحيه، والدين يحتاج في نقله إلى الصدق والعدالة والأمانة مع الضبط.

وعن إبراهيم قال:((كانوا إذا آتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته وإلى سنته وإلى هيئته ثم يأخذون عنه)) (٤٣).

ذلك أنه لا يؤمن على الحديث من لا يقيم الفرائض ودعائم الإسلام، وزيادة على ذلك ينظر إلى سلامة هيئته وسيره على سنن العلماء من الاهتداء بهدي النبيﷺ والعمل بالعلم والخشية من الله تعالى، واجتناب الخسائس وخوارم المروءة.

ومن تعظيم أبي العالية رفيع بن مهران الرياحي لحديث رسول اللهﷺ قوله: ((كنا نأتي الرجل لنأخذ عنه فننظر إذا صلى، فإن أحسنها جلسنا إليه، وقلنا هو لغيرها أحسن، وإن أساءها قمنا عنه، وقلنا هو لغيرها أسوأ)) (٤٤).

وعن مغيره عن إبراهيم قال: ((كانوا إذا أرادوا أن يأخذوا عن الرجل نظروا إلى صلاته وإلى هيئته وإلى سمته)) (٤٥).

وقد كانوا يعانون هذه المعاناة إجلالا وتعظيما لحديث رسول اللهﷺ وليس تتبعا لزلات الناس وكشفا لعوراتهم، بل دينهم يمنعهم من ذلك، وعقلهم يمنعهم من السفول.

وعن شعبة عن خالد الحذاء عن رفيع أبي العالية قال: ((إذا حدَّثْتَ عن رسول الله ﷺ فازدهر)) (٤٦).

وعن أبي العالية قال: كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول اللهﷺ فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم(٤٧).

وقد فعلوا ذلك تعظيما لحديث رسول اللهﷺ وتنويها لأمره وتشريفا لشأنه، وإلا لاكتفوا بما سمعوه عن التابعين عن أصحاب رسول اللهﷺ، وهم ثقات عدول أمناء، ولما في الرحلة من المشقة البدنية والمالية والغربة عن الأوطان ما لا يخفى على لبيب، ولا يحتاج إلى كشفه أريب.

ومن تعظيم عمر بن عبد العزيز لحديث رسول اللهﷺ ما جاء عن الأوزاعي أنه قال:((كتب عمر بن عبد العزيز أنه لا رأي لأحد في كتاب الله، وإنما رأي الأئمة فيما لم ينزل فيه كتاب ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ. ولا رأي لأحد في سنة سنها رسول الله ﷺ))(٤٨).

وعن عبيد الله بن عمر: أن عمر بن عبد العزيز خطب فقال:((يا أيها الناس إن الله لم يبعث بعد نبيكم نبيا، ولم ينزل بعد هذا الكتاب الذي أنزله عليه كتابا، فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة)) (٤٩).

فهذا من تعظيم أمير المؤمنين لأحكام الله وأحكام رسوله ﷺ التي وردت في كتاب الله عز وجل وسنة رسولهﷺ، واستمرار العمل بها والتحاكم إليها إلى قيام الساعة، بشرط الصحة والثبوت، وبدون التفات إلى آراء البشر وأحكامهم وقوانينهم.

ومن تعظيم سعيد بن جبير لحديث رسول اللهﷺ أنه لما حدث عن عبدالله بن مغفل في النهي عن الخذف، فرفع رجل بينه وبين سعيد قرابة شيئا من الأرض فقال: هذه؟ وما يكون هذه؟. فقال سعيد: ((ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ ثم تهاون به، لا أكلمك أبدا)) (٥٠).

وعن سعيد بن جبير: أنه حدث يوما بحديث عن النبي ﷺ فقال رجل في كتاب الله ما يخالف هذا، قال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعرض فيه بكتاب الله كان رسول الله ﷺ أعلم بكتاب الله منك(٥١).

وعن حماد بن سلمة عن يعلى بن حكيم أن سعيد بن جبير حدث حديثا عن رسول الله ﷺ فقال رجل من أهل مكة إن الله يقول في كتابه: كذا وكذا، فغضب عضبا شديدا وقال: ألا أراك تعارض كتاب الله بحديث رسول الله ﷺ ورسول الله أعلم بكتاب الله منك(٥٢).

ففي هذه الآثار عن سعيد بن جبير رحمه الله رد صريح على من يعارض الحديث النبوي ولو كان ذلك بالقرآن؛ لأنه يعلم أن الحديث الصحيح لا يعارض القرآن ولا يخالفه، وهو من علماء التفسير وفقهاء الإسلام، ويرد على من يتهاون بالحديث ويرى أن بعض أحكامه لا قيمة كبيرة لها، بل هجرانه لأمثال هؤلاء مع قرابته لهم دلالة على غاية التعظيم والتوقير للسنة، فليس من الدين ما هو سهل وحقير، بل كله عظيم وجليل ورفيع، ولم يقل ما دام أنه آحاد لا بأس برده إذا اقتضى العقل رده أو عدم قبوله الحكم المشتمل عليه، كلا! ولم تكن هذه الأوهام والوساوس الشيطانية التي بثها العقلانيون ذا قيمة عند السلف الصالح، بل إذا صح الحديث يجب العمل به واستعماله، وينهار كل قول دونه، إذا جاء نهر الله بطل نهر المعقل.

ومن تعظيم إبراهيم النخعي لحديث رسول اللهﷺ عن مغيرة بن مقسم الضبي عن إبراهيم أنه كان يكره أن يستند إلى السارية(٥٣). – أي في حالة التحديث عن رسول اللهﷺ–.

وكان السلف الصالح قوم جد وتعظيم لأوامر الله وأوامر رسوله، ومن ذلك كراهتهم الاستناد إلى السارية في حالة التحديث تعظيما للحديث ورفعة لمقامه، ولأن فيه كسلا وتهاونا في أمره، ولما رفعوا السنة بهذه المنزلة رفعهم الله في الدنيا والآخرة، ووضع لهم لسان صدق في الآخرين.

ومن تعظيم أبي مجلز لحديث رسول اللهﷺ عن سليمان التيمي قال: كنا عند أبي مجلز وهو يحدثنا قال: فقال رجل: لو قرأتم سورة، فقال أبو مجلز: ما الذي نحن فيه بأنقص إلي من قراءة سورة(٥٤).

لأن التحديث عن رسول اللهﷺ لا بد منه، والحديث عن رسول اللهﷺ تبيين للقرآن وتفصيل لمجمله، وهو وحي من عند الله تبارك وتعالى، وقول هذا الرجل فيه رائحة من روائح من يقول نكتفي بالقرآن فقط، كما هو مذهب القرآنيين، وهو كفر محض وزندقة وخروج عن الدين، وترى من خلال هذه الكلمة العظيمة تعظيم أبي مجلز للحديث؛ لأنه ساوى بينه وبين القرآن في الحكم والعمل، إذ خرجا من مشكاة واحدة، وما أبعدهم من الاستهانة بالسنة والتقسيم الباطل لرد جله والعمل بقليل منه كما زعموا، والحديث ليس بأنقص من القرآن من حيث وجوب العمل به والاحتجاج إذا صح مطلقا.

ومن تعظيم حسان بن عطية لحديث رسول اللهﷺ قوله: ((كان جبريل ينزل على رسول اللهﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن، يعلمه إياها كما يعلمه القرآن)) (٥٥).

فإذا تقرر عندنا أن الحديث ينزل به جبريل على رسول الله وهو وحي من عند الله تبارك وتعالى، ومقصود الوحي العمل بدون تفريق، لوجب علينا تعظيمه في جميع مناحي الحياة، لأنه لو أراد عدم العمل بالحديث ما أنزله على رسوله قطعا وهو منزه عن العبث تعالى ذكره.

ومن تعظيم الأعمش لحديث رسول اللهﷺ عن إسحاق بن الربيع قال:((رأيت الأعمش إذا أراد أن يحدث على غير طهور تيمم)) (٥٦).

وروى عن ضرار بن مرة قوله:((كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير طهر)) (٥٧).

و((كان الأعمش لا يرفع صوته بالحديث إلا قدر ما يجوز جلساءه إعظاما للعلم)) (٥٨).

فإن التحديث عن رسول اللهﷺ على طهارة فيه تعظيم كبير وتوقير شديد يليق بمقام السنة، وهكذا شأن كلام الله لا يمسه إلا المطهرون، وكذا السلف كانوا يكرهون أن يحدثوا عن رسول اللهﷺ على غير طهارة، والسنة صنو القرآن، ولا يظن بمن بلغت السنة في قلبه هذا المبلغ أن يردها ويقدم عقله عليها.

قال أبو بكر بن عياش: كان الأعمش إذا حدث ثلاثة أحاديث، قال: قد جاءكم السيل.

يقول أبو بكر: وأنا مثل الأعمش(٥٩).

ومن تعظيم أيوب بن أبي تميمة السختياني لحديث رسول اللهﷺ ما جاء عن حماد بن زيد أنه قال: كنا عند أيوب فسمع لغطا فقال: ((ما هذا اللغط؟ أما بلغهم أن رفع الصوت عند الحديث عن رسول الله ﷺكرفع الصوت عليه في حياته)) (٦٠).

فقد ورد الزجر والردع في رفع الصوت على الحديث عن أكثر من واحد من الأئمة، وكانوا يكرهون رفع الصوت على حديث رسول اللهﷺ، وذلك من كمال أدبهم مع الله ومع رسولهﷺ، ومن كمال تعظيمهم لحديث رسول الله، ومن كان بهذه المثابة والمنزلة في تعظيم الحديث وتوقيره حري أن يكون موفقا في الاستدلال به والعمل بمقتضاه.

ومن تعظيمهم لحديث رسول اللهﷺ عنايتهم بحفظه والرحلة في طلبه وتتبعه والعمل به وتقديمه على قول كل أحد كائنا من كان، وحرصهم الشديد في جمعه وتحريره وضبطه وإتقانه، ومنه ما جاء عن شبرمة قال سمعت الشعبي يقول:((ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا استعدت حديثا من إنسان))(٦١).

وكان يقع له مثل هذا لشدة اهتمامه وعنايته به، وقوة إصغائه إلى من يحدثه مع الحرص والمحبة والتعظيم، وقوة حفظه وكثرة نظره فيه وانشغاله به، حتى أصبح الحديث عن النبيﷺ جزءا من حياته وروحه، وهذا من التعظيم الرفيع للحديث النبوي الشريف.

ومن تعظيمهم للحديث روايتهم له عن الثقات الأثبات: ومن ذلك أن عقبه بن نافع الفهري أوصى ولده فقال: ((يا بني لا تقبلوا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا من ثقه)) (٦٢).

وعن سعد بن إبراهيم قال:((كان يقال: خذوا الحديث من الثقات، وفي لفظ: لا يحمل الحديث إلا عن ثقة))(٦٣).

لأن الحديث عن رسول اللهﷺ دين مشتمل على العقائد والأحكام والمعاملات، وبه يعرف الحلال من الحرام، فكيف يوكل ذلك إلى الفساق وخارمي المروءة وقليلي الدين من الزنادقة والمنحرفين، بل يسند ذلك إلى الثلة المختارة الذين هيأهم الله لحفظ دينه وأمانته، ونشره وتبليغه إلى الناس كافة.

وقد لاحظنا من هذا العرض السريع مكانة الحديث النبوي في قلب الأئمة الكبار من حفظة السنة والآثار، من التابعين الأخيار، تعظيما وتوقيرا وزجرا للمتهاونين، وردعا للخارقين لحرمة السنة، وقولا شديدا لمن يلهف وراء الآراء الفاسدة والأفكار المنحرفة المحاربة للسنة جهارا نهارا، مهما كان قائلها ومنتهجها ومغرضها، وهذه الأفكار الخبيثة القائلة بعدم قبول الآحاد والمفرقة بين السنة ما زالت تلاقي في الأمة من يروجها وتجد لها آذانا مصغية من الجهلة ضعاف الدين الذين لا يميزون بين دين إبليس والمنهج الإلهي الرباني لاستغراقهم في الجهل، وابتعادهم عن الصراط المستقيم طوعا أو كرها أو تربية وبيئة.

المبحث الثالث

تعظيم أتباع التابعين والأئمة لحديث رسول الله ﷺ

ثم خلفهم- أي: التابعين- تابعو التابعين وهم خلف الأخيار، وأعلام الأمصار، وأمل الأمة وقدوتهم في الأقطار، وموضع الأمانة في دين الله عز وجل ونقل سنن رسول الله ﷺ وحفظه وإتقانه، والعلماء بالحلال والحرام والفقهاء في أحكام الله عز وجل وفروضه وأمره ونهيه(٦٤).

وقد روي عن جماعة من الصحابة والتابعين الحض على نشر الحديث وحفظه والمذاكرة به(٦٥).

فكان أول من امتثل بهذا الأمر هو هذا الجيل الفريد الذي نشأ على يد التابعين، فكانوا خير جيل في عصرهم على الإطلاق، فعظموا الحديث حفظا وفهما واستدلالا ونشرا وكتابة وبحثا في طرقه ورجاله واستيثاقا في أمره، فترى في أخبارهم عجبا من تعظيمهم للحديث ورفعهم لشأنه وإنزالهم منزله اللائق به، عكس من أزاحه عن منزلته ووضع عقله موضعه بل قدمه عليه، هكذا ينفلت العقل حين يموت الضمير.

وتعظيم أئمة الأمة وعوامها للسنة والحديث وأهله في الأصول والفروع من الأقوال والأعمال أكثر من أن يذكر هنا، وتجد الإسلام والإيمان كلما ظهر وقوي كانت السنة وأهلها أظهر وأقوى، وهذا إجماع من جميع هذه الطوائف على تعظيم السنة والحديث واتفاق شهاداتهم على أن الحق في ذلك، ولهذا تجد أعظمهم موافقة لأئمة السنة والحديث أعظم عند جميعهم(٦٦).

وعن سليمان بن حرب قال:((كان حماد بن زيد إذا حدث عن رسول الله ﷺ فرفع إنسان صوته لم يحدثه، وسمعته يقول في قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴿٢﴾ ﴾ قال: أرى رفع الصوت عليه بعد موته كرفع الصوت عليه في حياته، إذا قرئ حديثٌ وجب عليك أن تنصت له كما تنصت للقرآن)) (٦٧).

هذا والله غاية في التأدب مع الحديث وغاية التعظيم له، فسوى حماد رحمه الله بين الحديث والقرآن في الشرف والمنزلة؛ لأن كليهما وحي من عند الله يجب احترامه وتوقيره، ومن احترامه وتعظيمه خفض الصوت عند ذكر حديث رسول اللهﷺ.

قال الخطيب البغدادي: ((وليحذر أن يعترض على حديث رسول الله ﷺعند سماعه من المحدث برأيه؛ فإن ذلك محظور عليه، وكذلك يجب أن لا يعترض عليه بعموم القرآن لجواز أن يكون ذلك الحديث مما خص به كتاب الله عز وجل)) (٦٨).

فالاعتراض على الحديث اعتراض على رسول الله والتقدم بين يديه، وذلك نتيجة لقلة الدين وضعف العقل وسوء التربية وشناعة الطوية وخبث السريرة والبطانة.

وعن الهيثم بن عمران قال: سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول: ينبغي لنا أن نحفظ حديث رسول الله ﷺ كما نحفظ القرآن؛ لأن الله تعالى يقول: (٦٩). ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴿٧﴾ ﴾(٧٠).

وهذا تطبيق عملي وواقع معاش من أئمة السلف وعباقرة الإسلام، فقد تميزوا بالحفظ تميزا واضحا جليا لكل ذي عقل وعينين، بل التاريخ خير شاهد يشهد لهم على ذلك، وهاك نماذج رائعة من تعظيم أتباع التابعين للحديث:

تعظيم الإمام مالك بن أنس لحديث رسول اللهﷺ عن عبد الله بن المبارك قال: كنت عند مالك بن أنس وهو يحدثنا فجاء عقرب فلدغته ست عشرة مرة، ومالك يتغير لونه ويتصبر، ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت له: يا أبا عبد الله، لقد رأيت منك عجبا، قال: نعم، أنا صبرت إجلالا لحديث رسول الله ﷺ (٧١).

هذا والله لمن عجيب تعظيمه لحديث رسول اللهﷺ، رحم الله مالكا من ذا الذي يطيق مثل هذا!، وبمثل هذا تدرك ضعف مكانة الحديث ومنزلته في قلوب كثير من المتعلمين والمختصين، بله العوام الطغام والسواد الأعظم.

وقال مالك – وقد سئل عن أيوب السختياني – ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه، قال: وحج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه. فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي ﷺكتبت عنه(٧٢).

وعن ابن القاسم قال: قيل لمالك: لِمَ لَمْ تأخذ عن عمرو بن دينار؟ قال: أتيته، فوجدته يأخذون عنه قياما، فأجللت حديث رسول الله ﷺ أن آخذه قائما(٧٣).

هذا إجلال عظيم ودرجة عالية من التعظيم يعجب المرء منه، مع ما عرف من حب الإمام مالك بن أنس لعلو الإسناد وكثرة التطلب والتطواف على شيوخ الحديث للأخذ عنهم، ومن هؤلاء الذين قصدهم للسماع عنهم الإمام عمرو بن دينار، وكان رفيع القدر نبيلا من أودية العلم وأوعيته، فمن ذا الذي يأبى عمرا أن يكون من شيوخه!، ولكن مكانة الحديث في قلب الإمام مالك فوق كل محبوب، فعظم الحديث من أن يأخذه على هذه الهيئة! فهل من كان يزعم أنه من أتباعه في مذهبه بلغ هذه المرتبة في توقير الحديث وتعظيمه؟، ولو كان كذلك لما وجد المخالفون للحديث من أتباعه في المذهب، ولم يترك الإمام مالك حديث عمرو فحسب؛ لأنه يؤخذ عنه على هيئة غير مرضية عنده، بل كان هذا ديدنه؛ لأنه يدين الله بتعظيم الحديث وإجلاله، وهذا لعمرو الله عجيب، وهو سر عظمة القوم ورفعتهم في الدنيا والآخرة.

وعن إبراهيم بن عبدالله بن قُرَيم الأنصاري قاضي المدينة قال:((مر مالك بن أنس على أبي حازم وهو يحدث فجازه فقال: إني لم أجد موضعا أجلس فيه، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله ﷺوأنا قائم)) (٧٤).

وعن أبي بكر بن خلاد قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول:((سألت مالك بن أنس عن حديث وأنا أصحبه في الطريق فقال: هذا حديث عن رسول الله ﷺ، وأكره أن أحدثك ونحن نستطرق الطريق، فإن شئت أن أجلس وأحدثك به فعلت، وإن شئت أن تصحبني إلى منزلي وأحدثك – به فعلت، قال: فصحبته إلى منزله فجلس وتمكن ثم حدثني به)) (٧٥).

وفي رواية قال ابن مهدي: مشيت يوما مع مالك إلى العقيق، فسألته عن حديث، فانتهرني وقال لي: كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله ﷺ ونحن نمشي.

وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم، فأمر بحبسه، فقيل له: إنه قاض، قال: القاضي أحق مَن أُدِّب.

وذكر أن هشام بن الغازي(٧٦). سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا، ثم أشفق عليه، فحدثه عشرين حديثا؛ فقال هشام: وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا(٧٧).

فهذا تعظيم مالك الإمام حافظ السنن وراعيها، وإمام أهل السنة وحاديهم، وربى طلابه على ذلك كما ترى، فرحم السلف ما كان أنبلهم، ورحم الله مالكا ما كان أجله.

قال الخطيب البغدادي: ((كراهة من كره التحديث في الأحوال التي ذكرناها من المشي والقيام والاضطجاع وعلى غير طهارة، إنما هي على سبيل التوقير للحديث والتعظيم والتنزيه له، ولو حدث محدث في هذه الأحوال لم يكن مأثوما ولا فعل أمرا محظورا، وأجل الكتب كتاب الله، وقراءته في هذه الأحوال جائزة، فقراءة الحديث فيها بالجواز أولى)) (٧٨).

وقال الخطيب في موضع آخر: يكره التحديث في حالتي المشي والقيام حتى يجلس الراوي والسامع معا، ويستوطنا فيكون ذلك أحضر للقلب وأجمع للفهم(٧٩).

وكان مالك لا يحدث إلا وهو على طهارة إجلالا للحديث(٨٠).

وفي رواية: عن أبي مصعب الزهري: ((كان مالك لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا وهو على طهارة إجلالا لحديث رسول الله)) (٨١).

وعن يحي بن عبدالله بن بكير قال:((كان مالك إذا عرض عليه الموطأ تهيأ ولبس ثيابه وتاجه أو ساجه(٨٢). وعمامته ثم أطرق فلا يتنخم ولا يبزق ولا يعبث بشيء من لحيته حتى يفرغ من القراءة؛ إعظاما لحديث رسول الله ﷺ))(٨٣).

وفي رواية: ((كان مالك بن أنس إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل وتبخر وتطيب، فإن رفع أحد صوته في مجلسه زبره وقال: قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴿٢﴾ ﴾ فمن رفع صوته عند حديث رسول الله فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ))(٨٤).

وفي رواية عن مصعب بن عبد الله: كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله ﷺ توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب: فسئل عن ذلك فقال: إنه حديث رسول ﷺ.

وقال مطرف: كان إذا أتى الناس مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ: تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا: المسائل خرج إليهم، وإن قالوا الحديث دخل مغتسله، واغتسل وتطيب، ولبس ثيابا جددا، ولبس ساجه وتعمم، ووضع على رأسه رداءه، وتلقى له مِنَصَّةٌ، فيخرج فيجلس عليها، وعليه الخشوع، ولا يزال يُبَخَّرُ بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله ﷺ.

قال غيره: ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله ﷺ.

قال ابن أبي أويس: فقيل لمالك في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا.

قال: وكان يكره أن يحدث في الطريق، أو وهو قائم، أو مستعجل، وقال: أحب أن أفهم حديث رسول الله ﷺ (٨٥).

قال الخطيب البغدادي: ((ينبغي للمحدث أن يكون في حال روايته على أكمل هيئته وأفضل زينته، ويتعاهد نفسه قبل ذلك بإصلاح أموره التي تجمله عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين)) (٨٦).

وعن إسحاق بن عيسى قال: سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال في الدين ويقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أرادنا أن نرد ما جاء به جبريل إلى النبي ﷺ (٨٧).

((فكان يرى أن لفظ حديث رسول الله ﷺ لا يجوز تغييره، ويجوز تغيير غيره إذا أصيب المعنى)) (٨٨).

وعن ابن عفير قال: سألت مالك بن أنس عن الرجل يسمع الحديث فيأتي به على معناه؟ ((فقال: لا بأس به، إلا حديث رسول الله ﷺ فإني أحب أن يؤتى به على ألفاظه. وفي رواية: إذا كان حديث رسول الله فحدث به كما سمعته)) (٨٩).

وفي هذه الآثار التي سقناها دلالة واضحة على تعظيم الإمام مالك بن أنس للحديث تحملا وأداء، فنفع الله به النفع العظيم ورفعه به رفعة كبيرة لا يبلغ شأوها ومداها، وقد كان في الاحتجاج والاستدلال آية من آيات الله لا يجازوه ولا يقدم عليه آراء الرجال وفهومهم، ولا

عقولهم وقصودهم، فليت شعري هل المالكية كلهم على هذا المنوال أو أنها دعوات عارية في اتباع بعضهم له.

وقال الحافظ الذهبي: ولكن هذا الإمام الذي هو النجم الهادي قد أنصف، وقال قولا فصلا، حيث يقول: كل أحد يؤخذ من قوله، ويترك، إلا صاحب هذا القبر ﷺ (٩٠).

فهذا من غاية توقير الإمام مالك بن أنس لحديث رسول اللهﷺ بحيث لم يقسمه أقساما فيقبل قسما ويرفض قسما لأن العقل لا يقبله، فإن قول رسول اللهﷺ إذا صح مقبول كله؛ لأنه وحي من عند الله يجب امتثاله والعمل بمقتضاه.

ومن تعظيم وكيع بن الجراح الرؤاسي لحديث رسول اللهﷺ ما جاء عن يحي بن معين قال: سمعت وكيعا يقول كثيرا: وأي يوم لنا من الموت؟ ورأيته أخذ في كتاب (الزهد) يقرؤه، فلما بلغ حديثا منه، ترك الكتاب، ثم قام، فلم يحدث، فلما كان من الغد، وأخذ فيه، بلغ ذلك المكان، قام أيضا ولم يحدث، حتى صنع ذلك ثلاثة أيام.

قال عباس الدوري: قلت ليحيى: وأي حديث هو؟ قال: حديث(٩١): (**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**) (٩٢).

وقال طاهر بن محمد المصيصي: سمعت وكيعا يقول: لو علمت أن الصلاة أفضل من الحديث، ما حدثتكم(٩٣).

ويقصد بالصلاة هنا النوافل من الصلوات، ولا شك أن العلم أفضل منها، لأن نفعه متعد، وتلك نفعها قاصر على المتنفل.

ومن تعظيم الإمام أحمد بن محمد بن حنبل لحديث رسول اللهﷺ ما قاله أبو طالب المشكاني وقيل له-أي: الإمام أحمد-: إن قوما يدعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان. فقال:((أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره)).فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺوتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي(٩٤).

ولم يتطرق الإمام أحمد إلى تقسيم الحديث في العمل به والاحتجاج، بل أطلق الأمر في ذلك، واشترط صحته، واستغرب ممن يصح عنده الحديث ويذهب إلى آراء الرجال فيتشبث بها ويبني عليها دينه، فهذا لعمرو الله من ضعف العقل والاستهانة بالحديث.

وقال أحمد بن الحسن: ألا يعجب يقال للرجل: قال رسول اللهﷺ فلا يقنع، وقال عن فلان فيقنع(٩٥).

ومن تعظيم الإمام البخاري لحديث رسول اللهﷺ ما رواه أبو الهيثم الكُشْمَيْهَنِي، سمعت الفربري يقول: قال لي محمد بن إسماعيل: ما وضعت في كتابي ((الصحيح)) حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين(٩٦).

وفي رواية ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن همام يقول: سمعت عدة من المشايخ، يقولون: حول محمد بن إسماعيل تراجم جامعه بين قبر رسول الله ﷺ ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين(٩٧).

فهذه البركة العظيمة التي تراها في صحيح البخاري هي نتيجة ظاهرة وآية قاهرة، ودلالة باهرة تدل على تعظيم هذا الإمام العظيم لحديث رسول اللهﷺ حفظا وفهما واستدلالا واستنباطا وتحديثا وكتابة ونشرا رحمه الله وطيب ذكره.

ومن تعظيم الحافظ عيسى بن يونس لحديث رسول الله:

قال الوزير جعفر بن يحيى البرمكي: ما رأيت في القراء مثل عيسى بن يونس، وذكر أنه عرض عليه مئة ألف درهم فردها وقال: والله لا يتحدث أهل العلم أني أكلت للسنة ثمنا(٩٨).

ومن تعظيم الحافظ السلفي لحديث رسول الله:

قال عبد القادر الحافظ: وكان أبو طاهر يجلس للحديث فلا يشرب ماء، ولا يبزق، ولا يتورك، ولا تبدو له قدم، وقد جاز المئة.

قال: وبلغني أن سلطان مصر حضر عنده للسماع، فجعل يتحدث مع أخيه، فزبرهما، وقال: أيش هذا؟ نحن نقرأ الحديث، وأنتما تتحدثان؟!

وفي رواية: حضر عنده السلطان صلاح الدين وأخوه الملك العادل لسماع الحديث، فتحدثا، فأظهر لهما الكراهة، وقال: أنتما تتحدثان، وحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ؟! فأصغيا عند ذلك(٩٩).

وعن محمد بن قدامة قال: سمعت أبا أسامة يقول: ((إني لأغار على الحديث كما يغار على الجارية الحسناء)) (١٠٠).

وأين مثل هذا عمن يقول: لا يقبل الآحاد ولو في صحيح البخاري ومسلم، فقد ماتت غيرتهم واندثرت همتهم، وأي تعظيم هذا! لله ما أجلهم من أئمة، وما أنبلهم من سادة، فهذا هو سر رفعة الله لهم في الدنيا والآخرة، ومن لا يغار على الحديث فلا قلب له حي، ولا دين له متين، وهذه الغيرة تكون على الحديث كله بدون تقسيم ولا تعطيل بعضه.

وعن عمرو بن أبي سلمة قال: قلت **للأوزاعي**: ((أنا ألزمك منذ أربعة أيام ولم أسمع منك إلا ثلاثين حديثا، قال: وتستقل ثلاثين حديثا في أربعة أيام؟! لقد سار جابر بن عبد الله إلى مصر واشترى راحلة وركبها حتى سأل عقبة بن عامر عن حديث واحد وانصرف، وأنت تستقل ثلاثين حديثا في أربعة أيام)) (١٠١).

فهذا من تعظيم الإمام الأوزاعي لحديث رسول اللهﷺ، واستدلاله يدل على تعظيم الصحابة للحديث والبحث عنه والمشقة والسفر الطويل في سماعه والتأكد منه، وهو مقتد بمن سلف في هذا التعظيم، ولو كان الآحاد لا يستفاد منه في العقائد كما يقول هؤلاء العقلانيون لما عنى أبو أيوب وكابد مشاق الأسفار لسماعه وحفظه!.

وقال شعبة بن الحجاج في بعض أسفاره الطويلة في البحث عن حديث بعينه بإسناد معين: ((لو صح لي مثل هذا عن رسول اللهﷺ كان أحب إلي من أهلي ومالي والناس أجمعين)) (١٠٢).

ألا تعجب من هذا الحب العميق لحديث رسول اللهﷺ وتقديمه على كل محبوبات الدنيا، لقد كان شعبة من علية المحدثين وجلة الأئمة المتقنين، وعنايته بالحديث لا تخفى، وتعظيمه له لا يستريب فيه من له أدنى مسكة بأخباره.

وروى الأزرق بن حسان، عن شعيب بن حرب قال: سمعت شعبة يقول: ((جلست إلى عمرو بن دينار خمس مئة مجلس، فما حفظت عنه سوى مئة حديث، في كل خمسة مجالس حديثا)) (١٠٣).

فإنك ترى في هذه الرواية الصبر العجيب، والتحمل العظيم النابع من تعظيمه وحبه لحديث رسول الله، وهل أهل هذه العصور على مثل هذا في التوقير والإجلال والحب والتطلاب!.

قال أبو سعد السمان: من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الإسلام(١٠٤).

قال أحمد بن سنان سمعت شيبان بن يحي يقول: ما أعلم طريقا إلى الجنة أقصد ممن يسلك طريق الحديث(١٠٥).

وعن وكيع بن الجراح يقول: سمعت – **سفيان الثوري**– يقول: ما أعلم على وجه الأرض من الأعمال أفضل من طلب الحديث لمن أراد به وجه الله(١٠٦).

وعن إبراهيم بن سعيد الجوهري يقول: سمعت **وكيع بن الجراح** يقول: ما عبد الله بشيء أفضل من الحديث(١٠٧).

وعن وكيع أنه قال: لو أعلم أن الصلاة أفضل من الحديث ما حدثت(١٠٨).

وعن **بشر بن الحارث** أنه كان يقول: لا أعلم على وجه الأرض عملا أفضل من طلب العلم والحديث لمن اتقى الله وحسنت نيته فيه(١٠٩).

وقال ابن المبارك: ما رأيت أحدا أسرع إلى السنة من أبي بكر بن عياش(١١٠).

هذه الآثار المروية تدل على مكانة الحديث في قلوب أئمة السلف الصالح، فهو وحي الله في أرضه وتفسير نبيه لكتابه، وفيه بيان الحلال والحرام، والأحكام الزائدة التي لم تكن في القرآن الكريم، فطلبه وحفظه ومدارسته ليس بأقل من نوافل الصلوات والعبادات الأخرى، بل هو أجل وأعلى.

ولما امتحن **يحيى بن معين** أبا نعيم فضل بن دكين فتغير أبو نعيم، وانقلبت عيناه، ثم أقبل على يحيى، فقال: أما هذا – وذراع أحمد بيده – فأورع من أن يعمل مثل هذا، وأما هذا – يريدني – القائل: أحمد بن منصور الرمادي – فأقل من أن يفعل ذاك، ولكن هذا من فعلك يا فاعل. وأخرج رجله، فرفس يحيى، فرمى به من الدكان، وقام فدخل داره، فقال أحمد بن حنبل ليحيى: ألم أمنعك وأقل لك: إنه ثبت، قال: والله، لرفسته لي أحب إلي من سفرتي– أي: إلى عبد الرزاق في صنعاء اليمن(١١١).

وجه تعظيم الحديث في هذه القصة تقبل ابن معين الإهانة لأجله، بل اعتبر هذه الرفسة التي تلقاها من أبي نعيم أحب إليه من تلك السفرة الطويلة إلى عبدالرزاق؛ لأنه قد علم يقينا أن أبا نعيم حافظ يقظ قد ضمن جانبه، ومقصوده في كل هذا أن يكون حديث رسول

اللهﷺ محفوظا لا يشوبه كدر، ولا يخلطه خلط، وما عدا ذلك من معاناة الدنيا لا يبالي بها رحمه الله ما أعظمه من إمام، وما أجله من ذاب للسنة من الخطل والزلل والمجازفة.

وعن **سفيان بن عيينة**: ((أن العالم الذي يعطي كل حديث حقه)) (١١٢).

ومن لم ير الاحتجاج بالحديث إذا صح فلا تعده في العلماء، بل ولا تعده في الرجال.

قال الحافظ أبو سعد السمان رحمه الله : (من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الإسلام)(١١٣).

ومن تعظيمهم لحديث رسول اللهﷺ شدة طلبهم له وبحثهم عنه فإن شئت فاقرأ في هذه الترجمة الذهبية عن المحدث الحافظ محمد بن إسحاق بن يحي بن مندة الأصبهاني الرحالة كان من أئمة هذا الشأن وثقاتهم، ولد سنة عشر وثلاث مئة، وسمع سنة ثماني عشرة وبعدها، ورحل سنة ثلاثين إلى نيسابور، فأدرك أبا حامد بن بلال وكتب عن الأصم نحوا من ألف جزء، ثم رحل إلى بغداد فلقي ابن البختري والصفار، ولقي بدمشق خيثمة بن سليمان وطبقته، ولقي بمكة أبا سعيد بن الأعرابي، وبمصر أبا الطاهر المديني، وببخارى ومرو وبلخ جماعة، وطوف الأقاليم وكتب بيده عدة أحمال، وبقي في الرحلة نحوا من أربعين سنة، ثم عاد إلى وطنه شيخا فتزوج ورزق الأولاد، ويقال: إنه رجع إلى بلده أصبهان قدمها ومعه أربعون حملا من الكتب والأجزاء. قال رحمه الله: كتبت عن ألف شيخ وسبع مئة شيخ، وكان من دعاة السنة وحفاظ الأثر، حدث بالكثير حتى توفي سنة خمس وتسعين وثلاث مئة. قال الباطرقاني إمام الأئمة في الحديث رحمه الله(١١٤).

وقال محمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني: ((بلت الدم في طلب الحديث مرتين: مرة ببغداد، ومرة بمكة، كنت أمشي حافيا في الحر فلحقني ذلك، وما ركبت دابة قط في طلب الحديث)) (١١٥).

وقيل لأبي عبد الله السجزي المعمر وهو يحمل ولده عبد الأول على رأسه في طلب الحديث: ادفع إلينا هذا الطفل نركبه وإياك إلى بوشنج. فيقول: معاذ الله أن نركب في طلب أحاديث رسول الله ﷺ بل نمشي، وإذا عجز أركبته على رأسي إجلالا لحديث رسول الله، ورجاء ثوابه(١١٦).

ومثل هذا عن الحفاظ الكبار كثير شائع منتشر، وهو ينم عن اهتمام شديد وتعظيم أكيد لحديث رسول اللهﷺ، أو تظن أن أحدا من هؤلاء الحفاظ اللفاظ يعترض على أحكام رسول اللهﷺ بمقاييس عقله ويهدر هذا الجهد الجهيد الذي بذله في سبيل تحصيله، بل كان حب رسول اللهﷺ وتعظيم حديثه قد تمكن من شغاف قلوبهم، وما كانوا يقدمون عليه شيئا من قشر الأفكار ودغل الآراء وعليل الفلسفات.

وقال عبدة بن زياد الأصبهاني منشدا:

دين النبي محمـــد أخبـــار ** نعم المطية للفتى الآثــار

لا تخدعن عن الحديث وأهله ** فالرأي ليل والحديث نهار

ولربما غلط الفتى سبل الهدى ** والشمس بازغة لها أنوار(١١٧).

وبهذا ننتهي من عرض هذه الدراسة المختصرة عن تعظيم السلف لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم توقيرا واحتراما وامتثالا وعملا رحمهم الله ورضي الله عنهم وأرضاهم.

الخاتمة

بعد هذا العرض المختصر نصل إلى أهم النتائج والتوصيات.

أ- النتائج:

١- أن تعظيم الحديث النبوي نابع من رسوخ العلم وقوة الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم.

٢- أن اعتبارهم حديث رسول الله وحيا هو الذي جعلهم يرفعون قدره ويعظمونه حق تعظيمه.

٣- أن هذا التعظيم هو سر رفعة الله وبركته على السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم.

٤- من مظاهر تعظيمهم عدم التفاتهم إلى التخمينات والافتراضات التي يعترض بها على الحديث النبوي الشريف.

٥- من مظاهر تعظيمهم تقديمهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على قول كل أحد كائنا من كان؛ لأنه وحي من عند الله ملزم خلافا لقول غيره.

٦- من مظاهر تعظيمهم استحضارهم شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاءهم عند التحديث، وهو كثير في أئمة التابعين وأتباعهم، وهو غاية في التعظيم والتوقير.

٧- أن أهم العوامل التي ساعدت السلف في هذا التوقير صفاء مشربهم وبعدهم عن الأهواء والعقلانيات والآراء المخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

٨- أن من أهم مظاهر تعظيمهم للحديث شدة حرصهم في الطلب والبحث عنه وحفظهم له وعملهم به وامثالهم له.

٩- أن من أهم مظاهر تعظيمهم للحديث النبوي الشريف زجر المتهاونين والمعترضين بعقولهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٠- من مظاهر تعظيمهم تحمل الأذية الجسدية والإهانة النفسية البالغة في سبيل تعظيمهم لحديث النبي صلى الله عليه وسلم.

١١- من تعظيمهم للحديث النبوي الشريف عدم أخذ العوض على التحديث ونشر الحديث إلا ممن قل وندر.

١٢- من مظاهر تعظيمهم غيرتهم الشديدة على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والنيل منه والإدخال فيه ما ليس منه.

١٣- من مظاهر التعظيم عند السلف حبهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح أكثر من أهلهم ومالهم والناس أجمعين.

١٤- من مظاهر تعظيمهم للحديث النبوي الشريف تربية أبنائهم على تحمل المشقات في طلبه وحفظه والاهتمام به.

ب- التوصيات:

أوصي الباحثين والمختصين في الحديث النبوي الشريف بالآتي:

١- إظهار تعظيم الحديث النبوي الشريف في بحوثهم ودروسهم ومحاضراتهم وهذا الأمر يكاد يكون غائبا في أوساط المختصين فضلا عن غيرهم.

٢- كتابة دراسات مختصة حسب القرون الفاضلة حول تعظيمهم للحديث النبوي الشريف.

٣- إفراد بعض الأئمة الحفاظ في العصور الذهبية الثلاثة وبيان تعظيم الحديث النبوي عندهم.

٤- التركيز على قضية الاحتجاج والعمل بالحديث النبوي الشريف من خلال هذا التعظيم في جميع مجالات الحياة؛ لأن المقصود منه هو الامتثال والعمل.

٥- تربية الأجيال الناشئة على حب الحديث وتعظيمه وحفظه؛ لأن ذلك من دعائم حفظ الحديث واستمراره إلى الأجيال المتعاقبة.

٦- بيان مكائد أعداء الحديث النبوي الشريف وتلبيسهم عليه وعلى أهله ليحفظ نقيا طاهرا من كل شائبة وخلط.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحواشي:

(١) صحيح البخاري، كتاب صلاة العيدين، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر(٣٠٣/١)، برقم: (٩٥٦).
(٢) تقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ص(٧).
(٣) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي(٦١١/٢).
(٤) مسند البزار برقم: (٧٩٦٩).
(٥) مسند البزار برقم: (٨٠٢٦).
(٦) صحيح البخاري، كتاب الصيد والذبائح، باب الخذف والبندقة(٤٥٢/٣)، وعند مسلم برقم: (١٩٥٤).
(٧) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء (١١٣/٤)، برقم: (٦١١٧)، وعند مسلم في كتاب الإيمان برقم:(٣٧).
(٨) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي(١١٨/١).
(٩) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب تقبيل الحجر(٤٩٦/١)، برقم: (١٦١١).
(١٠) الدَّغَل بالتحريك الفساد، مثل: الدَّخَل والدَّغَل، دَخَلٌ في الأَمر مُفْسِدٌ. ومنه قول الحسن: اتَّخَذوا كتاب الله دَغَلًا. أَي: أَدغلوا في التفسير، وأَدْغَلَ في الأَمر أَدخل فيه ما يُفْسِده ويخالفه، ورجل مُدْغِل مُخابٌّ مُفْسد. لسان العرب لابن منظور مادة ((دغل)).
(١١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، وأنها لا تخرج مطيبة (٣٢٦/١)، برقم: (٤٤٢)، وصحيح البخاري، كتاب الصلاة (٢٨٦/١)، برقم: (٨٩٩)، بدون هذه الزيادة التي أوردها مسلم عقب الحديث.
(١٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر(٣٤٩/٢).
(١٣) مسند الشاميين للطبراني(٢١٨/١).
(١٤) سنن الدارمي(٤٦٨/١)، إسناده صحيح.
(١٥) مسند الإمام أحمد (٢٢٨/٥)، برقم: (٣١٢١).
(١٦) سنن الدارمي(٤٠١/١)، إسناده صحيح.
(١٧) مقدمة سنن ابن ماجه، باب التوقي عن رسول اللهﷺ(١٢/١)، برقم:(٢٧)، إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين.
(١٨) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض(٥٩٥/٢).
(١٩) تقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ص(٩).
(٢٠) الشفاء للقاضي عياض (٥٩٧/٢-٥٩٨).
(٢١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (١٩٩٤/٤)، برقم: (٢٥٧٧).
(٢٢) سنن الدارمي(٤٠٤/١)، إسناده جيد.
(٢٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٢٥).
(٢٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٢٦).
(٢٥) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي(٢٧٧/١).
(٢٦) ((لأن قتادة كان أعمى لا يبصر، ومع ذلك يقطع هذه المسافات البعيدة من العراق إلى المدينة، وقائده يقوده إلى العلماء ليسمع منهم ويحفظ عنهم مباشرة ولا يحتاج إلى الكتابة، وهذا الذي رأيت منه لون من ألوان حرصه وحبه وتعظيمه للحديث وتفانيه في طلبه، وبمثل هذا صار من حفاظ الدنيا وعلمائها وأعلامها البارعين)).

(٢٧) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي(٤/٢٣٢).
(٢٨) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٢٦).
(٢٩) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٢٦).
(٣٠) الشفاء للقاضي عياض(٢/٥٩٨).
(٣١) الزويل: ((القلق والانزعاج لشدة الخوف)).
(٣٢) سنن الدارمي(١/٢٨٤-٢٨٥)، إسناده صحيح.
(٣٣) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص(١٣٩)، إسناده صحيح.
(٣٤) سنن الدارمي(١/٣٣١)، إسناده جيد.
(٣٥) سنن الدارمي(١/٣٤٩)، إسناده صحيح.
(٣٦) سنن الدارمي(١/٣٨٤)، إسناده صحيح.
(٣٧) هذه الفتنة يعني بها – والله أعلم – فتنة قتل عثمان . رضى الله عنه .، وفتنة خروج الخوارج على علي ومعاوية . رضى الله عنهما .؛ فإنهم كفروهما حتى استحلوا الدماء والأموال.
وقد اختلف في تكفير هؤلاء، ولا شك في أن من كفرهم لم يقبل حديثهم، ومن لم يكفرهم اختلفوا في قبول حديثهم.
فيعني بذلك – والله أعلم –: أن قتلة عثمان والخوارج لما كانوا فساقا قطعا، واختلطت أخبارهم بأخبار من لم يكن منهم، وجب أن يبحث عن أخبارهم فترد، وعن أخبار غيرهم ممن ليس منهم فتقبل، ثم يجري الحكم في غيرهم من أهل البدع كذلك.
ولا يظن أحد له فهم: أنه يعني بـ الفتنة فتنة علي وعائشة ومعاوية؛ إذ لا يصح أن يقال في أحد منهم: مبتدع، ولا فاسق، بل كل منهم مجتهد عمل على حسب ظنه، وهم في ذلك على ما أجمع المسلمون عليه في المجتهدين من القاعدة المعلومة، وهي أن كل مجتهد مأجور غير مأثوم؛ على ما مهدناه في الأصول.
المفهم للقرطبي(١/١٢٣).
(٣٨) مقدمة صحيح مسلم(١/١٢).
(٣٩) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم(٢/١٥).
(٤٠) سنن الدارمي(١/٤٠٧)، إسناده حسن.
(٤١) سنن الدارمي(١/٣٩٦)، إسناده صحيح.
(٤٢) سنن الدارمي(١/٣٩٨)، إسناده صحيح.
(٤٣) سنن الدارمي(١/٣٩٨)، إسناده حسن.
(٤٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم(٢/١٦).
(٤٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٣٥).
(٤٦) سنن الدارمي(١/٤٦٥)، بإسناد صحيح.
(٤٧) سنن الدارمي(١/٤٠١)، إسناده صحيح.
(٤٨) سنن الدارمي(١/٤٠٢)، إسناده جيد.
(٤٩) سنن الدارمي(١/٤٠٦)، إسناده صحيح.
(٥٠) سنن الدارمي(١/٤٧٥)، بإسناد صحيح.
(٥١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٨٩).
(٥٢) سنن الدارمي(١/٤٤٧)، بإسناد صحيح.
(٥٣) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص(١٥٢)، إسناده صحيح.

(٥٤) الكفاية للخطيب البغدادي(١/٧٢).
(٥٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٢٦).
(٥٦) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٢٧).
(٥٧) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٢٨).
(٥٨) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي(٦/٢٣١).
(٥٩) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٨٦).
(٦٠) سنن الدارمي(١/٤٢٨)، إسناده صحيح.
(٦١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم(٢/٢٩).
(٦٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم(٢/٢٩).
(٦٣) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض(٢/٥٩٥).
(٦٤) تقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم بتصرف ص(٩-١٠).
(٦٥) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص(١٦٤)، إسناده صحيح.
(٦٦) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية(٤/١٧-٢٠).
(٦٧) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٨٦).
(٦٨) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص (٨٩).
(٦٩) الكفاية للخطيب البغدادي(١/٧٢).
(٧٠) سورة الحشر آية: (٧).
(٧١) تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر(٣٦/٣١٣).
وانظر الشفاء للقاضي عياض(٢/٦٠٣).
(٧٢) الشفاء للقاضي عياض(٦٩٦-٥٩٧).
(٧٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٢٥)
وسير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي(٨/٦٧).
(٧٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٢٥).
(٧٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٢٥).
(٧٦) هو هشام الغازي بن ربيعة الشامي، ولم تعرف له رواية عن مالك، والصواب في هذه القصة: أنها حصلت لهشام بن عمار الدمشقي على ما عليه الحفاظ المحققون.
(٧٧) الشفاء للقاضي عياض(٢/٦٠٣-٦٠٤).
(٧٨) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٢٧).
(٧٩) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٢٤).
(٨٠) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٨/٩٦).
(٨١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٢٦).
(٨٢) ((الساج: هو الطيلسان الأخضر)) لسان العرب لابن منظور (مادة سوج).
(٨٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢١١).
(٨٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٢٣-٢٢٤).
(٨٥) الشفاء للقاضي عياض (٢/٦٠١-٦٠٢).
(٨٦) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٠٢).
(٨٧) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص(٢٢)، إسناده صحيح.

(٨٨) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٥٠).
(٨٩) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٢٥١).
(٩٠) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي(٩٣/٨).
(٩١) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي(١٤٩/٩).
(٩٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ (**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**)(١٧٦/٤)، برقم:(٦٤١٦).
(٩٣) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٥١/٩-١٥٢).
(٩٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية ص(٥٩).
(٩٥) التحبير شرح مختصر التحرير للمرداوي (٤١١١/٨).
(٩٦) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي(٤٠٢/١٢).
(٩٧) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي(٤٠٤/١٢).
(٩٨) تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي(٢٨٠/١).
(٩٩) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي(٢٤/٢١-٢٨).
(١٠٠) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص(٩٣).
(١٠١) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ص(١٢٥-١٢٦).
(١٠٢) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ص(١٥٣).
(١٠٣) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي(٣٠٧/٥).
(١٠٤) تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي(١١٢٢/٣).
(١٠٥) تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي(١٣١٥/٤).
(١٠٦) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص(١٤٨)، أثر صحيح.
(١٠٧) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص(١٥٠)، إسناده صحيح.
(١٠٨) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص(١٥٤)، إسناده صحيح.
(١٠٩) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص(١٥٠)، إسناده صحيح.
(١١٠) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي(٤٩٦/٨).
(١١١) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي(١٤٨/١٠-١٤٩).
(١١٢) تقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ص(٤٤).
(١١٣) المقفى الكبير لتقي الدين المقريزي(١٠٥/٢).
(١١٤) تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي ص(١٠٣٥).
(١١٥) تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي ص(١٢٤٢-١٢٤٣).
(١١٦) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي(٣٠٨/٢٠).
(١١٧) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص(١٤١)، إسناده صحيح.